مجلة مقامات
EISSN 2253-0363: / ISSN : ISSN2543-3857
المجلد 04 / العـدد: 02 (2020)

نظام الحجاج بالعواطف في قصيدة [البكاء] للشاعر محمود درويش.

Système d'argumentation par des émotions dans le poème [Elbokae] du poète Mahmoud Darwish.

د. الحسن بواجلابن ، Hassan Bouijellaben
مختبر الترجمة وتكامل المعارف، جامعة القاضي عياض/ مراكش.
إيميل الباحث : elh_bouijelabn@yahoo.fr
Laboratoire de Traduction et Interdisciplinarité, Université Cadi Ayad / Marrakech.

Emotional argumentation system in poem [Elbokae] by poet Mahmoud Darwish.

By Dr. Hassan Bouijellaben
Cadi Ayyad University - Marrakesh

ملخص:

استهدفتُ من خلال هذه الدراسة رصد معالم النظام الذي ينتظم فيه الحجاج بالعواطف في قصيدة [البكاء] للشاعر محمود درويش، ومن أهدافها معرفة نموذج تحليلي للحجاج بالعواطف. وقد عرّف أرسطو الباتوس وعرض النوازع، فبادرتُ إلى إثارة الإشكالية الآتية: كيف تشتغل العواطف حجاجيا في حنايا متن إبداعي تخييلي ؟

ووقع اختياري على دراسة " كريستيان بلانتان" : *L'argumentation dans l'émotion)* ؛ ذلك لأنه قدّم نموذجا منهجيا لتحليل الباتوس. وحللتُ نظام الحجاج بالعواطف في قصيدة [البكاء] لمحمود درويش، واتضحت استراتيجية الحجاج بالعواطف لإقناع المتلقي بمشروعية القضية الفلسطينية كما اتضحت شاكلة اشتغال العواطف حجاجيا في الشعر.

- **الكلمات – المفاتيح:** نظام، حجاج بالعواطف، قصيدة، محمود درويش.

Résumé :

Système d'argumentation par des émotions dans le poème [Elbokae] du poète Mahmoud Darwish.

J'ai ciblé à travers cette étude vigie les caractéristiques du système dans lequel l'argumentation par des émotions est organisée dans le poème [Elbokae] du poète Mahmoud Darwish, l'un des objectifs de cette étude est de connaître un modèle analytique de l'argumentation par des émotions.

Aristote a défini le Pathos et il a présenté des tendances, J'ai donc pris l'initiative de poser la problématique suivante: Comment les émotions fonctionnent-elles dans un corpus créatif imaginatif? J'ai choisi l'étude de "Christian Plantin": (L'argumentation dans l'émotion); car il a fourni un modèle méthodique pour l'analyse du Pathos. Et J'ai analysé le système d'argumentation par des émotions dans le poème [Elbokae] de Mahmoud Darwish, et La stratégie de l'argumentation par des émotions a été clarifiée pour convaincre le destinataire de la légitimité de l'affaire palestinienne et la manière de fonctionnement des émotions dans la poésie a été clarifiée aussi.

- Mots - clés: *système, argumentation par des émotions, poème, Mahmoud Darwish.*

Abstract:

Emotional argumentation system in poem [Elbokae] by poet Mahmoud Darwish.

Through this study I have targeted the characteristics of the system in which argumentation by emotions is organized In the poem [Elbokae] of the poet Mahmoud Darwish, One of the objectives of this study is to know an analytical model of emotional argumentation. Aristote defined the Pathos and he presented tendencies, so I took the

initiative to pose the following problematic: How do emotions work in an imaginative creative corpus?
I chose the study of "Christian Plantin": (The argument in emotion); because it provided a methodical model for the analysis of Pathos. And I analyzed the emotional argumentation system in Mahmoud Darwish's poem, and the strategy of emotions argumentation has been clarified for to convince the recipient of the legitimacy of the Palestinian affair and how emotions work in poetry too.
- Keywords: *system, argumentation by emotions, poem, Mahmoud Darwish.*

تقديم:

الحجاج هو خطاب مبني، وموجه، وهادف يتغيى التأثير والإقناع في المتلقي، وعرّفه " شاييم برلمان" " Chaim Perelman " بأنه: « جعل العقول تذعن وتَسْتَسْلِمُ لما يُطرح عليها من الأقوال، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان وذلك الخضوع. فأنجع الحجاج ما حالفه التوفيق في جعل حدة الإذعان تقوى لدى السامعين بشكل يبعثهم على إنجاز المطلوب منهم » [1]. ونشأ

الحجاج في المجتمع اليوناني في حضن الخطابة، وقد ميز أرسطو بين قسمين من الحجج هما:

- الحجج غير الصناعية: وهي الحجج الجاهزة، والتي لا يكون للخطيب دخل فيها.
- والحجج الصناعية: وهي الحجج غير الجاهزة، وقسمها أرسطو إلى ثلاثة أقسام؛ حيث قال: « فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسَمْتِهِ، ومنها ما يكون بتهيئة للسامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت » [2].

يتبين من هذا النص أن الحجج الصناعية عند أرسطو ثلاثة أقسام، هي:

- ما يتصل بسَمْتِ الخطيب وأخلاقه: " éthos"
- ما يرتبط بأحوال السامعين: " pathos "
- ما يتعلق بكلام المتكلم وبما تضمه اللغة من حجج منطقية:" logos "

فما يتعلق بأحوال السامعين ونفسياتهم، هو ما أطلق عليه: (pathos)؛ أي: مراعاة المتكلم عواطف الجمهور وانفعالاته. وهو حجة الحجاج بالعواطف، وثانية الحجج الصناعية، وترتبط بهيئة السامعين عندما يثير الخطاب انفعالاتهم، قال أرسطو: « وأما بتهيئة السامع، فحين يستميله الكلام إلى شيء من الآلام المعترية، فإنه ليس إعطاؤنا الأحكام في حال الفرح والحزن مع المحبة والبغضة سواء » [3]. وعرّف أرسطو الباتوس بأنه هو: « كل ما يجعلنا نتغير، فنغير أحكامنا. وتكون متبوعة بالألم واللذة، مثل الغضب والشفقة والخوف وجميع الانفعالات الأخرى والمشابهة وأضدادها » [4] .

يبدو أن الباتوس حالة نفسية قابلة للتغيير، ويشمل كل ما له صلة بنوازع المتلقي، لذا يجب على المخاطِب أن يعرف أقدار مستمعيه، وما يحركهم ويؤثر فيهم أكثر من غيره. وهذه النوازع والانفعالات نتيجة وقع الخطاب على السامع. وقد عرضها أرسطو في الفصول العشرة الأولى من المقالة الثانية من كتاب الخطابة، وهي: « الغضب والسكون، والصداقة والكراهية، والخوف والأمن، والخزي والوقاحة، والشفقة والنقمة، والحسد والغبطة » [5].

ولكل حالة انفعالية نقيض. ويلزم التمييز في كل حالة بين ثلاثة مظاهر؛ فبالنسبة إلى الغضب، نلفي الغِضاب، ومثيري الغضب، ودواعي الغضب، وفي هذا الشأن قال أرسطو: « فإذا كان هذا هو الغضب، فلابد أن يكون الذي يغضب إنما يغضب على واحد من الناس فردا، أي على فلان، وليس على الإنسان، وذلك لشيء فعله به أو أحد ممن هو منه بسبب» [6] . تستلزم معرفة العواطف، إذا، استيفاء ثلاثة شروط؛ فإذا تعلق الأمر بعاطفة الغضب، يجب تعرّف الحالة النفسية التي تدفع الإنسان إلى الغضب، والذين نشعر بالغضب نحوهم، والأشياء التي تثير الغضب. وتحظى حجج العواطف بتأثير خاص على المتلقي؛ بحيث تدفعه إلى الإذعان وإنجاز المطلوب، لذا خصص أرسطو للباتوس مجالا كبيرا في مصنفه الخطابة.

أ- في تحديد الموضوع:

اهتممتُ بالحجاج بالعواطف نظرا لانصراف عناية الباحثين إلى أقسام الحجاج اللغوي والخطابي والبلاغي. واستهدفتُ من خلال هذه الدراسة رصد معالم النظام الذي ينتظم فيه الحجاج بالعواطف في قصيدة [البكاء] للشاعر محمود درويش، فبادرت إلى إثارة الإشكالية الآتية: كيف تشتغل العواطف حجاجيا في حنايا متن إبداعي تخييلي ؟ يبدو التعارض قائما بين الشعر والحجاج بين التخييل والإقناع، لكن كانت تحذوني الرغبة في إنجاز هذه الدراسة لتحقيق مجموعة من الأهداف من ذلك: -

تعرّف نموذج تحليلي للحجاج بالعواطف، - الكشف عن

الآليات الحجاجية التي يعتمدها الحجاج بالعواطف. ولأجل تحليل هذه القصيدة عمدتُ إلى البحث عن منهجية كفيلة بتحليل الحجاج بالعواطف في هذا المتن فترجمتُ دراسة ل " كريستيان بلانتان" " Christian Plantin ".

ب- الإطار النظري:

وقع اختياري على دراسة " كريستيان بلانتان" :

.(L'argumentation dans l'émotion) ؛ ذلك لأنه قدّم نموذجا منهجيا لتحليل الباتوس؛ حيث قال : « **1- إثبات العواطف.**

1-1. مواضع نفسية، وألفاظ، وملفوظات العاطفة.

يرتكز تحليل الخطاب المعبر عنه على ثلاثة مفاهيم لسانية: مفاهيم مرتبطة بمواضع نفسية، وبألفاظ العاطفة، وبملفوظاتها. ونحدد ألفاظ العاطفة انطلاقا من أسماء العواطف. ونضيف إليها مجموع الألفاظ التي تكون عائلاتها الاشتقاقية (الحسد، يحسد، حسود). ويمكن أن نستعمل لائحة الألفاظ التي تكون حقل الانفعالات التي تجمع بين العواطف، والأحاسيس، والحالات.

1-2. تعيينات مباشرة وغير مباشرة للعواطف.

بإمكان إسناد العاطفة الى موضع نفسي أن يكون مباشرا أوغير مباشر.

1-3. المتلفظ كموضع نفسي:

فيما يتعلق بالمواضع النفسية، فهي متعددة. ويمكن للنص أن يسند عدة عواطف الى عدة فواعل. ويمكن أن يُعين الموضع النفسي باسم علم، غير محدد، أو باسم إشارة، أو بوصف محدد أو غير محدد.

4-1. إثباتات العاطفة:

المسعى الذي سيتيح الحصيلة العاطفية لكل موضع من المواضع النفسية يرد كالآتي:

- تحديد فواعل النص التي تُكوّن المواضع النفسية المحتملة. و نُكوّن نماذج التعيين، ومجموع التعابير التي تحيل على هذا الفاعل.

- تحديد ملفوظات العاطفة المعينة مباشرة، وملفوظات العاطفة المعينة بشكل غير مباشر.

- تكوين ملفوظات العاطفة: اختيار عواطف مرتبطة بالسياق، إسناد العواطف الى مختلف المواضع النفسية. ونحصل حينئذ على إثباتات العواطف، جزئيا أو كليا وقد أعيد بناؤها.

2- موضع العاطفة.

سَنُسَمّي موضع العاطفة « مجموع القواعد التي تكيف عملية توجيه ملفوظ واقعي صوب إثبات عاطفة ». هناك ملفوظات بإمكانها أن تستثير العاطفة بدون أن تتضمن لفظ عاطفة.

مثال: أطفال يموتون جوعا وعطشا في الصحراء.

ليس من السهل أن نجعل هذا النمط من الملفوظات موضوعيا. لكن إذا أخضعنا هذا الملفوظ لاختبار بسيط بإدخال الرابط الحجاجي عليه. حينئذ سيتجه هذا الملفوظ صوب التعبير عن عاطفة الشفقة:

أطفال يموتون جوعا وعطشا في الصحراء، لكنه هو لا يكترث لذلك.

يمكن أن نؤسس على هذا الملفوظ طلبا من قبيل: « وحدها مساعداتكم هي الكفيلة بإنقاذهم » . وهدفنا هو وسم العمليات الخطابية التي تكون الشفقة.

هناك مواضع تبرر هذه العاطفة. ومصادر عاطفة الشفقة أربعة، يتعلق الأمر بأطفال، أطفال يموتون، يموتون في الصحراء، وسبب موتهم هو الجوع والعطش.

عمن يُتحدث؟ عن أطفال.

ما هو الحدث؟ موت أطفال جوعا.

أين ماتوا جوعا؟ في الصحراء.

ما هو سبب وفاتهم ؟ الجوع والعطش.

ألا يمكن تجنب هذا الحدث ؟

يعمل هذا الملفوظ كحجة تتيح أن يعلل الشفقة.

يرتكز موضع العاطفة على أعمال علماء النفس، ومحللي الخطاب، وتداوليين، وبلاغيين كلاسيكيين. هذه الأسس النظرية أعرضها بهذا التفصيل:

« ماذا ؟ » تحديد طبيعة الحدث وإحالته.

« من ؟ »طبيعة المعني بالحدث؛ بحيث تتفاوت تبعا لهوية ذلك الشخص موضوع العاطفة.

« مثل ماذا ؟ » المماثلة وسيلة مهمة لبناء العاطفة.

« متى ؟ » و« أين ؟ » تؤثر ظروف الزمان والمكان في العاطفة.

« كم ؟ » يؤدي مبدأ الكم والكثافة دورا مهما في مضاعفة وقع العاطفة.

« لماذا ؟ » ماهو سبب الحادث ؟ هل هناك عامل مسؤول ؟ فالقول إن السبب هو سكر السائق، سيحول الحدث من حادث محزن (انجراف التربة) إلى حادث مثير للغضب »[7].

فما عسى أن يكون نظام الحجاج بالعواطف في قصيدة محمود درويش [البكاء] ؟

قصيدة [البكاء] للشاعر محمود درويش حيث قال:

«ليس من شوق إلى حضن فقدته

ليس من ذكرى لتمثال كسرته

ليس من حزن على طفل دفنته
أنا أبكي!
أنا أدري أن دمع العين خذلان...وملح
أنا أدري ،
و بكاء اللحن ما زال يلح
لا ترشّي من مناديلك عطرا
لست أصحو... لست أصحو
ودعي قلبي... يبكي!
*****
شوكة في القلب مازالت تغزّ
قطرات... قطرات... لم يزل جرحي ينزّ
أين زرّ الورد ؟
هل في الدم ورد ؟
يا عزاء الميتين!
هل لنا مجد و عزّ!
أتركي قلبي يبكي!
خبّئي عن أذني هذي الخرافات الرتيبة
أنا أدرى منك بالإنسان ...بالأرض الغريبة
لم أبع مهري ...و لا رايات مأساتي الخضيبة
و لأنّي أحمل الصخر وداء الحبّ...
و الشمس الغريبة
أنا أبكي!
أنا أمضي قبل ميعادي ... مبكر
عمرنا أضيق منا ،
عمرنا أصغر... أصغر

هل صحيح ، يثمر الموت حياة
هل سأثمر
في يد الجائع خبزا ، في فم الأطفال سكّر ؟
أنا أبكي ! » [8].

ج- نظام الحجاج بالعواطف في قصيدة محمود درويش [البكاء]:

1- إثبات العواطف.

- **ألفاظ العاطفة:**

وتتجلى في قول الشاعر محمود درويش:

" ليس من شوق إلى حضن فقدته
ليس من ذكرى لتمثال كسرته
ليس من حزن على طفل دفنته
أنا أبكي !
و بكاء اللحن ما زال يلح
ودعي قلبي... يبكي !
أتركي قلبي يبكي ! "

هذه مجموعة تعيينات مباشرة وتتجلى التعيينات غير المباشرة للعواطف في قول الشاعر محمود درويش من القصيدة نفسها:

!يا عزاء الميتين

ونضيف إلى ألفاظ العاطفة مجموع الألفاظ التي تكون عائلاتها الاشتقاقية كقول الشاعر محمود درويش:

" أنا أبكي !
و بكاء اللحن ما زال يلح ".

ويمكن أن نستعمل لائحة الألفاظ التي تكون حقل الانفعالات التي تجمع بين العواطف، والأحاسيس، والحالات:

" أنا أدري أن **دمع العين** خذلان ... و ملح "

" شوكة في القلب مازالت تغزّ

قطرات... قطرات... لم يزل جرحي ينزّ

أين زرّ الورد ؟

هل في الدم ورد ؟ "

فالعواطف تتجلى في بكاء الشاعر محمود درويش وشدة حزنه على تقتيل العدو الإسرائيلي بني وطنه: **" دمع العين** خذلان ... و ملح ".

والأحاسيس تنحصر في إحساس الشاعر بالكآبة نظرا لحصول النكبة في وطنه فلسطين:

" شوكة في القلب مازالت تغزّ

قطرات... قطرات... لم يزل جرحي ينزّ".

والحالة تظهر في استشعار الشاعر محمود درويش الضياع إزاء هذه المصيبة الكبرى:

" أين زرّ الورد ؟

هل في الدم ورد ؟ "

- موضع العاطفة.

هناك ملفوظات بإمكانها أن تستثير العاطفة بدون أن تتضمن لفظ عاطفة. يتعلق الأمر بشعب عربي يُقتل وهو في أرضه.

- عمن يُتحدث؟ عن الشعب الفلسطيني ومعاناته من جراء احتلال الجيش الإسرائيلي أراضيه.

- ما هو الحدث؟ استعمار إسرائيل أراضي الفلسطينيين ليقيموا عليها دولتهم، وتشديد سلطاتها الخناق على الشاعر محمود درويش.

- متى تمّ الحدث ؟ قامت إسرائيل سنة 1948 بتهجير الفلسطينيين.

- أين تمّ الحدث ؟ داخل وطنهم الأم: فلسطين .

- ما هو سبب معاناتهم ؟ استبداد الجيش الإسرائيلي واغتياله الأهالي الفلسطينيين.

- كم عدد الضحايا ؟ اغتيال الجيش الإسرائيلي أعدادا كبيرة من الفلسطينيين.

- لماذا ؟ ماهو سبب الحادث ؟ لأن إسرائيل تريد أن تستوطن أرض فلسطين.

- مثل ماذا ؟ إبادة إسرائيل السكان الفلسطينيين وهم أهل الوطن يشبه إبادة الأمريكيين الهنود الحمر وهم السكان الأصليون.

- ألا يمكن تجنب هذا الحدث ؟ يمكن تجنبه بتدخل نزيه للمنتظم الدولي.

يشي عنوان القصيدة سيميائيا بمركزية عاطفة البكاء. وفعل بكى يمتّ بأوثق الصلات إلى الحجاج بالعواطف؛ ذلك لأنه يحرك إرادة التأثير في الآخر. وقد سيطر فعل بكى في القصيدة؛ إذ تعدد تكرار الشاعر محمود درويش فعل البكاء: " أنا أبكي! " وإذا استحضرنا هذه الهيمنة، اتضحت قدرتها على استمالة العواطف واستدعاء كل الجوارح لإعلان الثورة على العدو الإسرائيلي. وتلي البكاء عملية تقويمية، يعمد المخاطَب خلالها إلى تصنيف ذلك العدو في خانة الأشرار الأراذل أعداء الحرية.

ومن الملاحظ أن الشاعر محمود درويش، بما هو ذات شاعرة، قد استغل القافية بشاكلة ملفتة؛ وهو ما يتضح من قوله: " فقدته " و " دفنته ". فما تعقده القافية من معاقد صوتية مع اسم العلم: محمود شاعر القضية على صلة وثيقة بنفسية المتلفظ وبمشاعره كأنه بذلك يؤكد قيمة المرثي وهو الشعب الفلسطيني: " يا عزاء الميتين ! "، ويرسخ تلك القيمة في الآخر (الرأي العام، والمنتظم الدولي، ومنظمة الأمم المتحدة) كي يشاركه في نظرته إليه، فيكون رهان هذه الوضعية الرثائية هو إقناع الآخر بأحقية المرثي في كل ما قاله عنه الشاعر محمود درويش. وينضوي هذا الإجراء الفني في استراتيجية الحجاج بالعواطف لإقناع المتلقي بمشروعية القضية الفلسطينية، وضمه إلى صف الشعب الفلسطيني.

خاتمة:

اتضح نظام الحجاج بالعواطف في قصيدة الشاعر محمود درويش [البكاء] والتأثير الذي يخلفه هذا النمط من الحجاج في المتلقي. وأجبتُ عن إشكالية هذه الدراسة؛ حيث بينتُ شاكلة الحجاج في متن تخييلي هو الشعر.

يمكن أن أعتبر هذه القصيدة خطابا سياسيا اعتمادا على حجاجيتها بالعواطف وعلى الوظائف السياسية التي أنجزتها وهي:

- لفت انتباه الرأي الدولي العام إلى القضية الفلسطينية.

- تجميع الرؤى وتوحيدها حول قضية محددة هي الاعتداء الإسرائيلي على الفلسطينيين.

- جعل المخاطَبين يتبنون تصورا مشتركا بشأن مصير معين للشعب الفلسطيني من جهة وبشأن عدو لدود هو الجيش الإسرائيلي.

ونظرا لأهمية الحجاج بالعواطف يلزم رد الاعتبار له؛ لأنه تمّ إهماله في الأبحاث والدراسات الحجاجية، وأقترح أن يُدرس نظام الحجاج بالعواطف في شعر الشعراء « الصعاليك» ؛ حيث نجد لديهم أحاديث عن ثيمات الشجاعة والحب والكراهية والخوف... وهي أهم المنازع العاطفية في الحجاج بالعواطف فقد **كره** الشنفرى وتأبط شرا وعروة بن الورد والسليك بن السلكة القبيلة وأعلنوا **حبّهم** لمجتمع الحيوانات الضارية كالذئب والضبع وانتماءهم إليه والتجاءهم إليه فرارا من ظلم الأهل وأعراف القبيلة وعبروا عن **شجاعتهم** من خلال اقتسامهم طعامهم مع الذئاب واستئناسهم بها **وخافوا** من الإنسان وجوره.

لائحة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

أرسطو: الخطابة. تحقيق عبد الرحمن بدوي. دار القلم. بيروت. 1979.

محمود درويش: ديوان أوراق الزيتون. دار العودة. بيروت. الطبعة 11. .1984

2- مراجع غير معربة:

Chaim perelman et lucie olbrechts- tyteca: Traité de l'argumentation , éditions de l'université de Bruxelles, Belgique, 6 7àédition, 2008.

3- الدوريات:

Christian Plantin : L'argumentation dans l'émotion. IN : Pratiques : linguistique, littérature, didactique, N° 96, 1997. Enseigner l'argumentation.

الهوامش:

[1] - Chaim perelman et lucie olbrechts- tyteca: Traité de l'argumentation, p : 59.

[2]- أرسطو: الخطابة، ص: 10.

[3]- أرسطو: الخطابة، ص: 24.

[4]- أرسطو: الخطابة، ص: 95.

[5]- أرسطو: الخطابة، صص: من 82 الى 134.

[6]- الخطابة، ص: 96 .

[7] -Christian Plantin : L'argumentation dans l'émotion. IN : Pratiques : linguistique, littérature, didactique, N°.بتصرف 96, 1997, pp : 82 – 89.

[8]- محمود درويش: ديوان أوراق الزيتون، ص: 46 و 47 .